

المبحث الأول: مفهوم الإرجاء - تعريفه ونشأته



المطلب الأول: تعريف الإرجاء

أولاً: الإرجاء لغة:
أحد معانيه التأخير، يقال أُرْجِئْتُ الشيءَ: أَخَّرْتَهُ، قال
تعالى: {تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} سورة
الأحزاب: ٥١؛ ومنه سُمِّيَتِ الْمُرْجِئَةُ.



ثانيًا: الإرجاء اصطلاحًا:

وردت تعريفات عدة للإرجاء في الاصطلاح، منها:

- إرجاء العمل عن درجة الإيمان، وجعله منزلة ثانية بالنسبة للإيمان، لا أنه جزء منه، وأن الإيمان يتناول الأعمال على سبيل المجاز بينما هو حقيقة في مجرد التصديق، وهذا التعريف مأخوذ من معناه اللغوي أي بمعنى التأخير والإمهال.
- تأخير الحكم فيما جرى بين الصحابة من الفتن.
- تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما.
- لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

القول الثاني يتحدث عن موقف تاريخي اتخذته طائفة تجاه أحداث الفتنة التي وقعت بين الصحابة.

والقول الثالث هو قول لبعض فرق المرجئة، كما أن القول الرابع هو قول لبعض غلاة المرجئة، وإن لم تثبت نسبته لأحد بعينه.

وأما القول الأول فهو الأدق؛ لأنه يشمل فرق المرجئة؛ بتحديدده للضابط المشترك فيما بينها؛ وهو تأخير العمل عن الإيمان؛ بمعنى إخراجهم من مسمى الإيمان.

وهذا ما رجحه الإمام سفيان بن عيينة، والإمام الطبري رحمهما الله.

المطلب الثاني: نشأة الإرجاء وتطوره

إطلاق هذا المصطلح كان في وقت الفتن التي حدثت
بين الصحابة - رضوان الله عليهم -.

أما الإرجاء المتعلق بالإيمان:

ظهر بعد الثمانين من الهجرة، قال قتادة -رحمه الله- "إنما حدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث"، وكانت هزيمته بعد سنة ٨٣ هـ.

قال بهذا الإرجاء طائفة من الفقهاء والمحدثين، وخاصة في الكوفة، لذلك أطلق عليهم مرجئة الفقهاء.

تعددت الأقوال في ذكر أول من قال به، وذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- أن نشأة الإرجاء كانت في الكوفة، وأن أول من قاله فيهم حماد بن أبي سليمان.

هذا الإرجاء كان في مقابلة الخوارج الذين قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، فقابلتهم مرجئة الفقهاء بما يناقضهم؛ فقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، والأعمال ليست منه، وزعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يستثنى منه، ومرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولكنه معرض للوعيد، وهو تحت المشيئة.

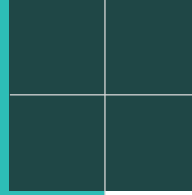
مرجئة الفقهاء أخرجوا العمل من مسمى الإيمان إلا أنهم يوجبون العمل كسائر أهل السنة، كما أنهم في أنفسهم لم يكونوا ممن يتهاون في شأن العمل.



إرجاء مرجئة الفقهاء صار ذريعة إلى ظهور فرق
المرجئة الغلاة التي جاءت بعدهم وإلى ظهور
الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً
لخطأ عظيم في العقائد والأعمال.

من الفرق التي غلت في الإرجاء:

الجهمية: من أوائل من عُرف عنهم الغلو في الإرجاء الجهم بن صفوان وأتباعه، الذين ذهبوا إلى أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الإيمان لا يتفاضل.



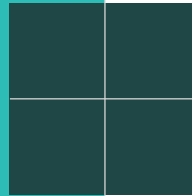
وبينَّ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنهم غلطوا
في ثلاثة أوجه:

أحدها: ظنهم أن الإيمان في القلب يكون تاماً بدون
عمل القلب؛ تصديق بلا عمل للقلب.

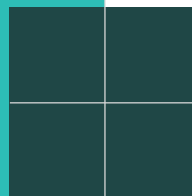
والثاني: ظنهم أن الإيمان في القلب يكون تاماً بدون
العمل الظاهر، وهذا يقول به جميع المرجئة.

والثالث: قولهم كل من كفره الشارع فإنما كفره لانتفاء
تصديق القلب بالرب -تبارك وتعالى-.

الكرامية: جعلوا الإيمان: قولاً باللسان فقط،
وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن، وأنه شيء
واحد لا يتفاضل، ولا يستثنى منه.



الأشاعرة والماتريدية: لا تزال أقوالهما
حاضرة إلى وقتنا هذا؛ وشمل انتشارهما
معظم الأقطار الإسلامية، وتبنتها أكثر
المعاهد الإسلامية.



الأشاعرة لهم في الإيمان قولان:

أحدهما: أنه قول واعتقاد وعمل، وهو أحد قولَي أبي الحسن الأشعري، وقد وافق فيه أهل السنة وأصحاب الحديث.

والثاني: وهو الذي ذكره في الموجز -ووافقه عليه جمهور الأشاعرة، كالباقلائي، والجويني- وهو أن الإيمان مجرد التصديق القلب ومعرفته.

والقول الثاني هو الذي اشتهر عند الأشاعرة، ونصره أئمتهم ممن جاء بعد الأشعري، وهو الذي استقر عليه المذهب عند المتأخرين.

وأما النطق بالشهادتين فجمهورهم
على أنها شرط لإجراء الأحكام
الدينية فقط، وقيل شرط في
صحة الإيمان، والأول هو المعتمد
عند المتأخرين.

الماتريديّة: ذهب جمهورهم إلى أن الإيمان هو
التصديق بالقلب فقط، وذهب بعضهم إلى أنه
التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهم في
هذه المسائل يتفقون مع الأشاعرة في الغالب.

مذهب المرجئة في مرتكب الكبيرة:

في باب الأسماء: بناء على أصلهم في إخراج العمل من مسمى الإيمان فإن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، بخلاف قول أهل السنة والجماعة على أنه ناقص الإيمان.

في باب الأحكام في الآخرة: قولهم موافق في الجملة لقول أهل السنة، فيقولون: إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة.